مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

مختبر الحوار الخليجي
Gulf Dialogue Lab

الموقف الثقافي

التجسير الثقافي بين المشرق والمغرب العربيين

العدد الحادي عشر - التجسير الثقافي
بين المشرق والمغرب العربيين

عنوان ثقافي يتم من خلاله رصد موقف المثقفين بشكل نصف شهري من حالة ثقافية معينة بحسب المجال الثقافي سواء كان مسرحا أو سينما أو أدباً وغيرها من تجليات الثقافة المشمولة بالتعريف الواسع للثقافة والمعتمد رسمياً في السعودية ودول الخليج، علاوة على المنظمات الثقافية الدولية والعربية

مركز الخليج للأبحاث
ديسمبر - 2024

إخلاء مسؤولية:

الأراء ووجهات النظر الواردة في هذا العدد تمثل الكتاب والمثقفين المشاركين ولا ينبغي أن تنسب إلى مركز الخليج للأبحاث.

المدخل

يلتقي المشرق والمغرب العربيين في كثير من الأسس الثقافية وعلى رأسها الوحدة القومية، واللغة، والدين المشترك، والروابط الاجتماعية، والتاريخية، وغيرها. وبالرغم من هذه المشتركات إلا أنَّ عُرى التواصل ظلَّت بسيطة بين الجانبين، سواءً على الصعيد المعرفي، أو الاجتماعي، مما أوجد فجوةً نتج عنها تداخل الجهود في المشاريع الثقافية على اختلاف تنوعها، علاوة على غياب كثير من الأسماء والأعمال البارزة في المغرب العربي عن التداول والحضور في المشرق العربي والعكس صحيح

أمام هذه الإشكالية تبرز الحاجة إلى تفعيل مسار «التجسير الثقافي» بين الجانبين لتعزيز التكامل بين العدْوتين بما يخدم الحالة المعرفية بوجه عام، ويدرأ أخطار القطيعة الفكرية التي تؤدي إلى تشتت الجهود وتداخلها، ناهيك عن ضعف الوعي بالمنجز الثقافي في كلا الجانبين

في هذا الإطار، ورغبة من البرنامج الثقافي في «مركز الخليج للأبحاث» في مناقشة هذه القضية وبحثها من مختلف الأوجه، فقد استطلع رأي نخبة من المثقفين في المشرق والمغرب العربيين بشأن قضية ««التجسير الثقافي بين المشرق والمغرب العربيين»، والسبل الموصلة لتحقيق هذا التجسير، موجها لهم الأسئلة الآتية:

- **في رأيك هل لا يزال التجسير المعرفي بين العدوتين الشرقية والغربية للوطن العربي يمثل أولوية مهمة؟**
- **ما الأثر المعرفي المنعكس على موضوع الهوية وإشكالاتها جراء الاهتمام بفكرة التجسير الثقافي؟**
- **كيف تنظرين إلى مستوى التواصل المعرفي بين المشرق والمغرب العربيين؟**
- **كيف يمكن تعزيز «التجسير الثقافي» بين العدوتين؟ وهل هناك برامج أو مبادرات يمكن اقتراحها؟**
- **ما الدور المناط بالمنظمات الدولية عربيا في دعم وتيرة التجسير الثقافي؟**

وفيما يلي نورد إجابات المثقفين المشاركين مرتبة أبجدياً.

آسية عبدالرحمن

موريتانيا

بكل تأكيد لا تزال الحاجة ملحة لتجسير معرفي يربط ركني العالم العربي، بل إنها تبدو اليوم أكثر أهمية وأشد إلحاحًا، ففي عالم أصبحت الهوية الثقافية فيه مهددة بفعل ثقافة كونية تنتشر عبر أجنحة الأثير، وتتوزع عبر الأفلام والمسلسلات والوسائط الاجتماعية، تبرز بجلاء أهمية التجسير المعرفي من أجل توطيد الثقافة الجامعة، التي هي مصدر وحدة الأمة، ولا قيام لأمة بدونها، فالأمة في حقيقتها هي لغة وثقافة وحين تنفصل عرى اللغة والثقافة تصبح الأمة بلا وجود

إنَّ الهوية لا تتعزز إلا باللغة والثقافة، وكل ما يهدد الهوية يأتي من هذين المنفذين، فمن استطاع أن يغيب لغة ما فإنه يغيب بالضرورة ثقافتها.

أمَّا بالنسبة للآثار المعرفية المنعكسة على موضوع الهوية وإشكالاتها جراء الاهتمام بفكرة التجسير الثقافي، فلا شك أنَّ للتجسير الثقافي أثره المعرفي البالغ على الهوية، فالتجسير يردم الهوة التي نشأت تاريخيًا بسبب البعد الجغرافي بين الجانبين من جهة، ومن جهة أخرى يبعث في اللغة حيوية افتقدتها بسبب الاستعمار، وما أدخله من مفردات ولكنات؛ جعلت اللغة في العُدْوة الغربية غريبة بعض الشيء عن أختها في المشرق

إنَّ الهوية لا تتعزز إلا باللغة والثقافة، وكل ما يهدد الهوية يأتي من هذين المنفذين، فمن استطاع أن يغيب لغة ما فإنه يغيب بالضرورة ثقافتها؛ فاللغة هي الوعاء التي تعيش فيه مجموع السمات التي تشكل الهوية

إنَّ التجسير الثقافي يعني ربط الحاضر بالماضي وربط المركز بالأطراف، حتى يظلّ المركز قلبًا نابضًا يدفع دماء الانتماء والوحدة والثقافة في سائر الجسد العربي الممتد من الخليج إلى المحيط

وعند النظر إلى مستوى التواصل المعرفي بين المشرق والمغرب العربيين، نجد أنه منذ حوار الشرق والغرب الذي دار بين حسن حنفي ومحمد الجابري والتواصل المعرفي بين الجانبين يشهد فتورًا على الأقل في مستواه الفكري، وإن كان هناك نوعٌ من التلاقي المعرفي، فإنه لا يأخذ شكلًا أكاديميًا، بل يوجد بشكل حر في إطار مؤسسات إعلامية ومراكز بحوث تجمع أنماطًا معرفية من العدوتين.

وفي كل الأحوال، لا تزال الفجوة واسعة بين ركني العالم العربي رغم انتشار وسائل الإعلام وحرية التنقل، وهي فجوة نلمسها حتى في الاختلاف المذهبي دون أن يعي الطرفان أنه اختلاف وليس خلافًا

منذ حوار الشرق والغرب الذي دار بين حسن حنفي ومحمد الجابري والتواصل المعرفي بين الجانبين يشهد فتورًا وإن كان هناك نوعٌ من التلاقي المعرفي، ولا تزال الفجوة واسعة بين ركني العالم العربي رغم انتشار وسائل الإعلام وحرية التنقل.

وفيما يتعلق بالمبادرات والبرامج المقترحة، فإن تعزيز التجسير الثقافي بين العدوتين يجب أنْ يتم أولاً عبر جميع الأنماط الثقافية والاجتماعية والسياسية، ولعل إنشاء برلمان عربي للطفل يجمع أطفال العدوتين من أهم تلك المبادرات، ثم إنَّ إعداد وثائقيات وبرامج تلفزيونية وإذاعية عن مظاهر الوحدة والاختلاف بين العدوتين يقدمها إعلاميون من المنطقتين تعزز هي الأخرى التجسير الثقافي

ومن الأكيد في تعزيز التجسير الثقافي إجراء دراسات وأبحاث عن أصول الكلمات في اللهجات المغاربية، وردها إلى جذرها العربي الفصيح

ولعل كذلك ربط القبائل المغاربية بأصولها في المشرق من الأهمية بمكان في تعزيز التجسير بين العدوتين فالانتماء القبلي أحد أهم محددات العقل العربي

أمَّا الدور المناط بالمنظمات العربية في تعزيز وتيرة التجسير الثقافي فيكمن في رعاية المؤتمرات والبحوث والأنشطة التي من شأنها ربط العدوتين ببعضهما البعض، عبر إستراتيجية تعتني بالتكامل وليس التنافس، و الاندماج و ليس الإقصاء، و لن يكون ذلك إلا بالنظر إلى أن الأمة العربية جسد واحد لا فضل لقلب فيه على قدم و لا رأس و لا أطراف! إنَّ على المنظمات العربية الدولية العمل على القضاء على عقدة الأطراف من المركز، وتعالي المركز على الأطراف

في البدء... «بضاعتنا ردت الينا»... جسور بين العدوتين... ما زالت هذه العبارة التي رافقت استقبال أهل المشرق للعقد الفريد لمؤلفه ابن عبد ربه الأندلسي تتردد بعيدة الصدى في العلاقة بين عدوتي الوطن العربي، إنها ليست مجرد كلمات، بل هي صدى لحكاية قديمة تربط بين المشرق والمغرب، حكاية كانت فيها المعرفة والفكر، سلعًا غالية ونبيلة، تتنقل بسهولة رغم مشاق السفر بين عدوتي هذا الوطن الكبير من خليجه إلى محيطه

من الأكيد في تعزيز التجسير الثقافي إجراء دراسات وأبحاث عن أصول الكلمات في اللهجات المغاربية، وردها إلى جذرها العربي الفصيح. وربط القبائل المغاربية بأصولها في المشرق فالانتماء القبلي أحد أهم محددات العقل العربي.

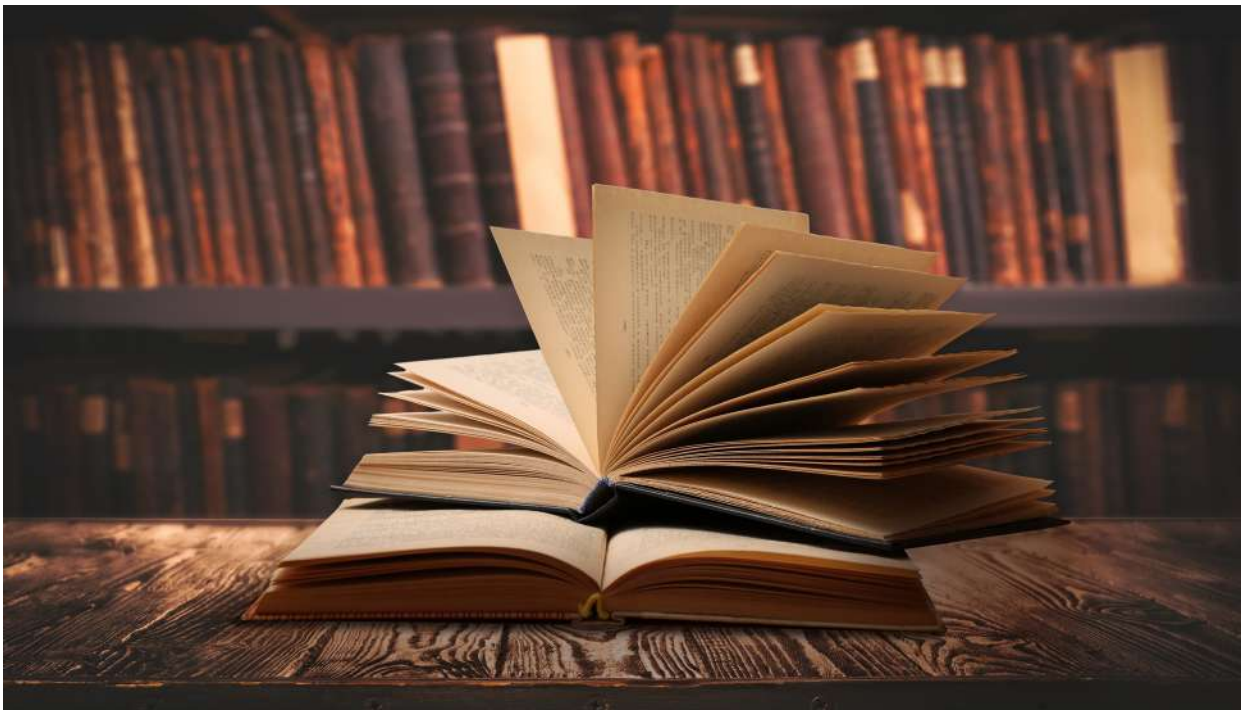

الموقف الثقافي

التجسير الثقافي بين المشرق والمغرب العربيين

طاهر العجرودي

تونس

في تلك الحقبة، كان المشرق يترقب بفارغ الصبر الاقتحامات الجديدة التي يفتحها المغرب العربي أمامه، آملًا في رؤية جديدة وأفق مختلف والمغرب يرقب ردة فعل المشرق في مدى تمثله للقيم التي انطلق بها في رحلة الفتح الحضاري

ولكن، جرت سنن التاريخ وتغيرت الأزمنة وتبدَّلت الأوضاع، ليعيش اليوم العرب لحظات فارقة هم في أشد الحاجة لها لإعادة التفكير في العودة للأصول وإعادة طرح السؤال المنهجي البسيط: ما الذي يجمعنا أكثر مما يفرقنا؟

إننا نحتاج اليوم أكثر من أي وقت مضى إلى عودة «البضاعة» بين المشرق والمغرب، ولكن هذه المرة ليست بضائع مادية فحسب، بل ألوانا من الفكر والمشاعر والآمال... نحن بحاجة إلى تبادل حقيقي، يحمل في طياته ما يجمعنا أكثر مما يفرقنا

لقد أثقلت سنوات الاستعمار والتحديات السياسية هذه العلاقة بيننا، ففشلت تلك الروابط الأصلية التي تجمعنا بلغة واحدة ومصير مشترك. واليوم، ومع مرور الوقت، أصبحت العودة إلى حتمية التكامل العربي أكثر إلحاحًا من أي وقت مضى، لأننا بحاجة إلى توحيد جهودنا وأفكارنا، لنمضي قدمًا نحو تحقيق حلم عربي جديد، حلم يربط بين أقطار المنطقة العربية، ويستعيد روح التعاون والوحدة

لقد أثقلت سنوات الاستعمار والتحديات السياسية هذه العلاقة بيننا، ففشلت تلك الروابط الأصلية التي تجمعنا بلغة واحدة ومصير مشترك. واليوم، ومع مرور الوقت، أصبحت العودة إلى حتمية التكامل العربي أكثر إلحاحًا من أي وقت مضى.

في ظل التحولات السريعة والتحديات المتصاعدة التي تواجه الأمة العربية، يتساءل كثيرون: هل يمكن للتكامل الثقافي أن يصبح أداة إستراتيجية لإعادة بناء الروابط التي تهددها أزمات الهوية والتجزئة؟ وهل يمكننا تجاوز حدود التنظير إلى بناء واقع ثقافي

الوطن العربي. نحن اليوم أمام فرصة غير مسبوقة، حيث تتيح الوسائط الرقمية والتكنولوجيا الحديثة إمكانيات هائلة لخلق روابط ثقافية متينة، تسهم في صياغة مشروع حضاري عربي يتفاعل مع متغيرات العصر ويقدم حلولًا مبتكرة لقضايا المستقبل. فهل يمكن لهذه الرؤية أن تصمد أمام تحديات الواقع؟ وهل سنتمكن من استثمار هذه اللحظة التاريخية لبناء تكامل ثقافي حقيقي يعيد صياغة هوية الأمة؟ على مدى عقود، تصدّر المفكرون والمبدعون البارزون المشهد الثقافي العربي، واضعين رؤى واستراتيجيات طموحة لتحقيق الوحدة الثقافية. لكن رغم قيمتها الفكرية، بقيت هذه المحاولات رغم ما أنفق من أجلها أسيرة التنظير، عاجزة عن التحول إلى واقع عملي ملموس. واليوم، تطرح أمامنا أسئلة ملحّة: كيف يمكننا كسر هذا الجمود وإعادة إحياء المشروع الثقافي العربي؟ وما الذي يجعل هذه اللحظة التاريخية مهيأة لإحداث تغيير جوهري؟

نحن اليوم أمام فرصة غير مسبوقة، حيث تتيح الوسائط الرقمية والتكنولوجيا الحديثة إمكانيات هائلة لخلق روابط ثقافية متينة، تسهم في صياغة مشروع حضاري عربي يتفاعل مع متغيرات العصر ويقدم حلولًا مبتكرة لقضايا المستقبل.

في عصر تتسارع فيه التكنولوجيا وتتقارب فيه المسافات بفضل وسائط الاتصال الحديثة، تتوافر أمامنا أدوات غير مسبوقة لنقل الأفكار وتبادل التجارب وخلق موجات فنية عابرة للحدود. فهل يمكن استثمار هذه الإمكانات لتجاوز العوائق القديمة وابتكار صيغة جديدة للترابط الثقافي العربي؟ وهل نحن مستعدون لتسليم راية التغيير لجيل جديد من الشباب المبدعين القادرين على صياغة مشهد ثقافي يعكس روح العصر وتطلعات المستقبل؟

يشكّل الشباب المبدع طاقة هائلة قادرة على إحداث تحول نوعي في المشهد الثقافي العربي، إذْ يحملون رؤى جديدة وإمكانات واعدة تتماشى مع التغيرات العميقة التي يشهدها العالم. على عكس الأجيال السابقة، يتمتع هؤلاء الشباب بقدرة فريدة على التكيف مع الوسائط الرقمية، واستثمار التكنولوجيا الحديثة كمنصة لإبداع أعمال مبتكرة، وتجاوز الحدود الجغرافية والثقافية لنقل الأفكار وتعزيز التفاعل

يشكّل الشباب المبدع طاقة هائلة قادرة على إحداث تحول نوعي في المشهد الثقافي العربي.

تشير الدراسات المقارنة إلى أنَّ المنطقة العربية تضم قاعدة شبابية كبيرة تُعد من بين الأكثر نشاطًا في المجال الإبداعي على مستوى العالم. على سبيل المثال، أظهرت تقارير حديثة حول استخدام الوسائط الرقمية أنَّ نسبة كبيرة من الشباب العربي يستخدمون الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي للترويج لأعمالهم الفنية، والتواصل مع جماهير محلية وعالمية، وإطلاق مشاريع ثقافية مشتركة.

هذا التحول الرقمي الذي يتبناه الشباب يمكن اعتباره نقطة قوة حاسمة في مواجهة التحديات التقليدية التي طالما أعاقت التكامل الثقافي

الشباب العربي في مواجهة التحديات العالمية

في مقارنة مع مناطق أخرى مثل جنوب شرق آسيا وأمريكا اللاتينية، نجد أنَّ الشباب في المنطقة العربية يمتلكون طاقات إبداعية تضاهي نظرائهم، إن لم تكن تفوقهم، إلا أنهم يعانون في كثير من الأحيان من نقص في البنية التحتية الثقافية والدعم المؤسسي. بينما استطاعت الدول

الآسيوية، على سبيل المثال، خلق بيئات خصبة لدعم الإبداع الشبابي عبر برامج تمويل ومنصات رقمية مخصصة، لا يزال الشباب العربي يعتمد بشكل كبير على الجهود الفردية أو المبادرات غير الممنهجة. ومع ذلك، برزت تجارب شبابية ملهمة في عدة دول عربية أثبتت قدرة الشباب على تجاوز هذه العوائق

- في السعودية، برزت حركة شبابية مزدهرة في مجال الأفلام القصيرة والموسيقى البديلة. على سبيل المثال، مبادرات مثل مصانع الابتكار وحي جاكس ومركز الدرعية ومهرجانات كمهرجان أفلام السعودية، ومهرجان البحر الأحمر السينمائي الدولي التي أصبحت منصة للشباب السعودي لاستعراض مواهبهم. كما أطلق الموسيقيون الشباب موجات جديدة من الأعمال التي تمزج بين الموسيقى التقليدية السعودية وإيقاعات إلكترونية عصرية كتجربة الفنان عبد الرحمن محمد الذي أصبح يتعاون مع فرقة موسيقية تونسية شابة ويقدم حفلات متنوعة في الوطن العربي يمزج فيها الشعر التراثي العربي بمقاربات موسيقية مبتكرة، بما يعكس روح التجديد والوفاء لتراث الأمة

- في المغرب، نرى مبادرات شبابية في المسرح والموسيقى الإلكترونية استطاعت أن تستفيد من الموروث الغنائي التقليدي وتحوله إلى ترند عالمي يجمع بين روح العصر والوفاء لهوية المغرب العربي

“ طاهر العجرودي

- في تونس، تزدهر التجارب المسرحية الشبابية ضمن مهرجانات مثل «أيام قرطاج المسرحية والسينمائية والفن المعاصر وغيرها»، حيث يعمل الشباب على تقديم نصوص مبتكرة تستكشف قضايا اجتماعية معاصرة بأساليب فنية جريئة. كما شهد المشهد الفني بروز موسيقيين شباب جمعت موسيقاهم بين الموسيقى التجريبية والشعر التونسي المعاصر مثل تجربة كلام شارع وتجارب فنانين كياسر جرادي وبديعة بوحريزي وآمال المثلوثي التي ارتقت من المحلية الضيقة إلى الانتشار العالمي وأصبحت توحد شباب المنطقة العربية حول صوتها المختلف

> يمكن للوسائط الرقمية أن تُستخدم لتوثيق التراث الشعبي، أو تطوير عروض مسرحية باستخدام الواقع الافتراضي، أو حتى إنتاج أفلام قصيرة قادرة على المنافسة عالميًا، والعمل على تعزيز الترابط بين ركني العالم العربي.

وتؤكد الدراسات أن الشباب العربي يُظهر إلمامًا عاليًا بالتكنولوجيا مقارنة بالأجيال السابقة، حيث تعتبر الوسائط الرقمية ليست فقط وسيلة للتواصل، بل أداة للإبداع. يمكن لهذه الأدوات أن تُستخدم لتوثيق التراث الشعبي، أو تطوير عروض مسرحية باستخدام الواقع الافتراضي، أو حتى إنتاج أفلام قصيرة قادرة على المنافسة عالميًا، والعمل على تعزيز الترابط بين ركني العالم العربي. وفي هذا السياق، تبرز أهمية بناء شبكات دعم للشباب المبدع، مثل إنشاء منصات رقمية إقليمية تجمع بين المبدعين من مختلف الدول العربية لتبادل الخبرات والتعاون في مشاريع مشتركة. كما يمكن تطوير برامج تدريبية تدعم استخدام التكنولوجيا الحديثة في الإبداع الفني والثقافي، مستفيدة من تجارب الدول الأخرى التي نجحت في تمكين شبابها من تحقيق طفرة ثقافية كالتجربة الفنلندية والكورية الجنوبية

> لابد من استراتيجيات واضحة لتعزيز التفاعل بين المبدعين الشباب من مختلف الدول العربية، وتحويل أفكارهم إلى مشاريع ملموسة تعكس تنوع الثقافة العربية وثراءها.

إن إطلاق طاقات الشباب المبدع يتطلب إرادة سياسية ومؤسسية واضحة تعمل على تمكينهم من الوصول إلى الموارد والبنى التحتية اللازمة. وعليه لابد من استراتيجيات واضحة تهدف إلى دعم الإنتاج الثقافي الشبابي، وتعزيز التفاعل بين المبدعين الشباب من مختلف الدول العربية، وتحويل أفكارهم إلى مشاريع ملموسة تعكس تنوع الثقافة العربية وثراءها

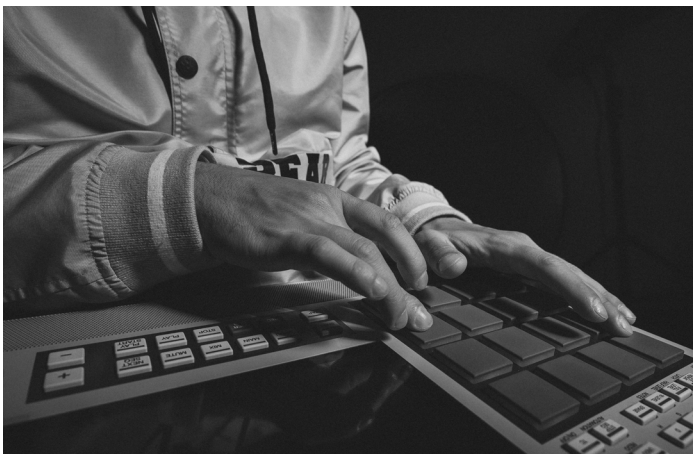

إن الشباب ليسوا فقط مستهلكين للثقافة، بل هم صانعوها. وفي عالم يزداد ترابطه، يمثلون جسورًا حقيقية للتواصل بين المجتمعات المحلية والمشهد الثقافي العالمي. ومن خلال استثمار هذه الطاقات الإبداعية، يمكن أن نشهد تحولًا ثقافيًا كبيرًا يعيد للأمة العربية مكانتها في المشهد الثقافي العالمي. إن نموذج الفنان الشاب التونسي بلطي على سبيل الذكر لا الحصر والذي اكتسحت أغانيه اغلب الدول العربية دليل واضح على أنَّ الذائقة قد تغيرت وإمكانية الانتشار أصبح يحكمها منطق مختلف علينا جميعا كصناع للقرار الثقافي في الوطن العربي أن ننتبه له.

لقد شكلت أغاني هذا الفنان رغم طابعها المحلي الصرف ظاهرة فريدة لقوة الفن في توحيد الذائقة

وهكذا فالانفتاح على المجموعات المحلية الفنية يصب في استثمار الطاقات المحلية لبناء التكامل الثقافي العربي، حيث تعد المجموعات المحلية في العالم العربي، بما في ذلك التجمعات الفنية المستقلة، والمجتمعات البحثية الصغيرة، والمجموعات الموسيقية التجريبية، من العناصر الأساسية التي تشكل نسيج الأمة العربية. رغم هذه الأهمية، فإنَّ هذه المجموعات غالبًا ما تُعتبر الحلقات الأضعف في منظومة الثقافة العربية، وتواجه تحديات كبيرة في سبيل الوصول إلى الدعم اللازم لتنمية أعمالها وتوسيع حضورها الثقافي على المستويين الإقليمي والدولي. إن هذه المجموعات، التي تضم شبابًا ومبدعين مستقلين، تمثل طاقات هائلة يمكن أن تساهم بشكل كبير في تعزيز التنوع الثقافي العربي وفي صياغة مشهد ثقافي يعكس قضايا المجتمع ويواكب التحولات العالمية. فهي أكثر قدرة على معالجة القضايا المجتمعية من خلال الأدوات الفنية التي تُقدم من خلالها رؤية محلية ومعبرة عن واقع الحياة اليومية والتحديات التي تواجه المجتمعات العربية في مختلف المناطق. ومع ذلك، يبقى عدم وجود الدعم الهيكلي اللازم أحد أكبر العوائق التي تحد من إمكانياتها

إن هذه المجموعات، التي تضم شبابًا ومبدعين مستقلين، تمثل طاقات هائلة يمكن أن تساهم بشكل كبير في تعزيز التنوع الثقافي العربي وفي صياغة مشهد ثقافي يعكس قضايا المجتمع ويواكب التحولات العالمية.

إنَّ المجموعات المحلية تملك قدرة فريدة على التعبير عن الهوية الثقافية العربية المتنوعة والمركبة، حيث يمكنها استخدام الفنون والثقافة للتفاعل مع القضايا الاجتماعية والسياسية التي تشغل المجتمعات المحلية. على سبيل المثال، قد تجد مجموعة موسيقية في منطقة معينة قد وجدت في مزج الأساليب الموسيقية التقليدية مع التحديثات المعاصرة وسيلة لإيصال رسالة تتعلق بالهوية الثقافية أو الهجرة أو الصراعات السياسية.

إن غياب الدعم المؤسسي يعمق فجوة كبيرة بين هذه المجموعات والمشاهد الثقافية الأكبر، مما يجعل من الصعب عليها أن تجد جمهورًا أوسع، ويحول دون انتشار أفكارها والمشاركة في الحوارات الثقافية العربية والعالمية.

ولكن، وعلى الرغم من وجود هذه الرغبة والطاقة، تفتقر هذه المجموعات إلى بنية تحتية ثقافية تدعم تطوير أعمالها. ولعل أكبر التحديات التي تواجه هذه المجموعات يتمثل في غياب الدعم الهيكلي الذي يتيح لها الفرصة للنمو، سواء كان ذلك دعمًا ماديًا، أو برامج تدريبية، أو منصات لعرض أعمالها على المستوى الإقليمي والعالمي. ففي العديد من الحالات، لا تتمكن هذه المجموعات من الوصول إلى التمويل الكافي أو من الحصول على توجيه أكاديمي أو استشاري يساعدها على تحسين إنتاجاتها الفنية. إضافة إلى ذلك، تواجه هذه المجموعات عزلة أحيانًا عن الحركة الثقافية العربية الكبرى، إذ تفتقر إلى التواصل الفعال مع باقي المناطق أو إلى إمكانية التعاون مع مبدعين آخرين في الدول العربية

إن غياب الدعم المؤسسي يعمق فجوة كبيرة بين هذه المجموعات والمشاهد الثقافية الأكبر، مما يجعل من الصعب عليها أن تجد جمهورًا أوسع، ويحول دون انتشار أفكارها والمشاركة في الحوارات الثقافية العربية والعالمية

رغم هذه الفرص الكبيرة، هناك تحديات قد تواجه هذه التجارب التعاونية على المدى الطويل. من أبرز هذه التحديات هو ضرورة تأكيد التنوع الثقافي والحفاظ على خصوصية كل مجتمع في إطار التعاون الإقليمي. كما أن هناك حاجة لتطوير منصات ووسائل اتصال قادرة على تمويل ودعم هذه المشاريع الفنية، وكذلك توفير حماية قانونية للحقوق الفكرية والفنية للمبدعين

الموقف الثقافي

التجسير الثقافي بين المشرق والمغرب العربيين

أ.د. عبدالله بن أحمد الغامدي

السعودية

من البديهي التأكيد بأنَّ المغاربة قد تعلموا اللغة العربية مع بداية انتشار الإسلام في بلادهم، حتى طغت على لغاتهم الأصيلة، ونهل من استطاع منهم في مدارس المشرق العربي، وعلى أيدي علمائهم وأدبائهم ومفكريهم في مختلف العلوم، في كل من دمشق، وبغداد، والبصرة، والكوفة وغيرها من الأمصار، حتى تأسست في شتى العلوم والمعارف، مدارس وجامعات في عدد من المدن التونسية، والجزائرية والمغربية، مثل القيروان ووهران وفاس، ثم انتشرت فيما بعد في المدن الأندلسية، حتى حققت ما نسميه اليوم، "بالاكتفاء الذاتي." تخرج منها على إثر ذلك، مفكرون وعلماء وفلاسفة وشعراء وأدباء، أمثال: ابن رشد، وابن طفيل، وابن باجة، وابن خلدون، ابن عربي، وغيرهم

ازدهرت بعد منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، مروراً بحركة النهضة، العلاقة الثقافية والفكرية بين المشرق والمغرب، من المحيط إلى الخليج، وتأثر بها عدد من الكتاب والشعراء والمفكرون وغيرهم.

Photo Source: HorraPress Photo Source: Aaswat.com

ازدهرت بعد منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، مروراً بحركة النهضة، العلاقة الثقافية والفكرية بين المشرق والمغرب، من المحيط إلى الخليج، وتأثر بها عدد من الكتاب والشعراء والمفكرون وغيرهم. اشتهر في المشرق كلٌ من العقاد وطه حسين ومارون عبود وكتاب وأدباء من مختلف الأقطار العربية شرقاً وغرباً. كما استقبلت مصر عدداً من الأسماء الشهيرة أمثال التونسي أبو القاسم الشابي، الذي نشر قصائده في مجلة (أبولو)، وتداخل المثقفون العرب فيما بعد، وفي كل البقاع العربية، بمعالجة قضايا أمتهم وبلادهم كالمفكر المغربي عبد الله العروي، والسوري الطيب التزيني، واللبناني كمال مروة وخلافهم، وبكى السياب أوجاع العراق بل والوطن العربي أجمع في قصائد مثل قصيدته المشهورة: "أنشودة المطر"

رغم ظهور بعض النتوءات في العلاقات بين المشرق والمغرب العربي هنا أو هناك، إلا أنهم يمثلون في أصلهم أمة واحدة، مما سهل عليهم المحافظة على وحدة أراضيهم وجمع كلمتهم، حيث يلتقون في عدد من القضايا التي تمس بلادهم وثقافتهم ووحدتهم، وعلى رأسها: اللغة، والوحدة القومية، والدين المشترك، والروابط الاجتماعية، والتاريخية، وغيرها... وواقع الحال الذي نعيشه اليوم، يؤكد بأن ما يؤلم بلد في المشرق أو في المغرب إلا وآلم الطرف الآخر وكان له أثره عند الشعوب خاصة.

اختلق الهوة وعزز لها، تدخل بعض المفكرين والمثقفين من شرق العالم العربي أو غربه، فأحدثت ما يمكن تسميته: «بالقطيعة الفكرية».

تلتقي ثقافة المشرق والمغرب على الخير دائماً، عدا بعض القضايا السياسية، وبعض الاختلافات في المعرفة والثقافة المحلية، التي قد اعتاد على تلقيها العربي في محيطه الاجتماعي، التي أوحت لبعض المثقفين في المشرق أو في المغرب بوجود فجوة فيما بينهم.

اختلق الهوة وعزز لها، تدخل بعض المفكرين والمثقفين من شرق العالم العربي أو غربه، فأحدثت ما يمكن تسميته: "بالقطيعة الفكرية". لقد وقعت بداية تلك "الفتنة"، عندما تفاخر بعض المثقفين المشارقة بمعارفهم على ثقافة وفكر المغاربة. تناسى البعض أن سبب ذلك، هو بعدهم الجغرافي عن معارف بعض، وضعف وسائل الاتصالات في ذلك الوقت، وقلة التواصل بين الطرفين، وربما دون قصد، عدم الاهتمام والاطلاع كثيراً، من قبل بعض المثقفين والمفكرين المشارقة، بما لدى المغرب العربي من وعي ومنجز ثقافي ومعرفي

كان من أبرزهم المفكر المغربي د. محمد عابد الجابري، والتونسي هشام جعيط، ومن المشرق، السوري جورج طرابيشي، والفلسطيني فيصل دراج، واللبناني فيصل جلول، والمصري حسن حنفي، والجزائري محي الدين عميمور، وغيرهم..

Photo Source: raialyoum.com

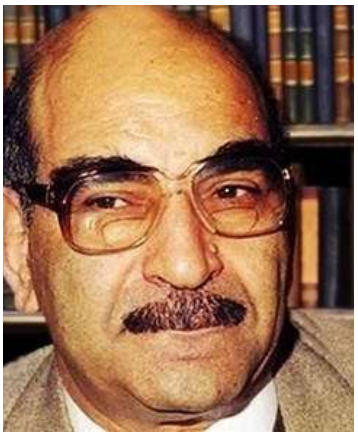
Photo Source: Wikipidea

لقد برز عدد من المفكرين في المشرق والمغرب العربي ممن عمل على إبراز نقاط القوة والضعف عند كل طرف. كان من أبرز من انتقد المشارقة، كما أشرنا سابقاً، وحدد ما يمكن أن نسميه "بثقافة الاختلاف"، المفكر المغربي د. محمد عابد الجابري، حيث انتقد اللغة العربية، ووسمها بأنها "ليست لغة ثقافة وفكر".

اتهم الجابري، العقل العربي بالجمود، خاصة وأن الثقافة العربية كما يقول: هي "الإطار المرجعي للعقل العربي، نعتبرها ذات زمن واحد منذ أن تشكلت إلى اليوم"، كما حدَّد بأنه: "زمن راكد يعيشه الإنسان العربي اليوم مثلما عاشه أجداده". لكنه امتدح الفكر المغربي بقوله: بأن الحقيقة الأساسية تكمن في "استقلال المدرسة الفلسفية في المغرب والأندلس استقلالاً تاماً عن زميلتها في المشرق"، كما انتقد الجابري كغيره من المغاربة، الكُتَّاب والأكاديميين المشارقة، "فمعظم الكتب التي تؤلف في المشرق هي دروس للطلبة يطبعها الأستاذ ليكمل ماهيته، أي أجرته أو راتبه الشهري، أما نحن في المغرب فلم نعتد على هذا."

استمر الجدل والحوار الفكري في الأخذ والرد، حول تقدم المشارقة على المغاربة، والعكس بالعكس سنوات طويلة. حيث تبنت الصحف والمجلات العلمية نشر المقالات والحوارات، فاتسعت الرقعة على الراقع، فتفاخر كل طرف على الآخر، وحاول كلاً منهم إثبات قدراته وتعزيز ثقافته وامكاناته المعرفية.

صدر على إثر ذلك، عدة مؤلفات، حملت في طيها موضوع (الحوار المشرقي/المغاربي)، كان على رأس تلك العناوين، كتاب: "الحوار بين المغرب والمشرق"، للدكتور محمد عابد الجابري، الذي تحدث فيه عن أهم ما تطرقت له الصحف وما كتب من مقالات في المشرق والمغرب، وعن المواضيع والأفكار الرئيسية التي ناقشها المفكرون من كل طرف

كما أثار الجابري في اطروحاته المتكررة هنا وهناك، ترسيخ فكرة التقابل والاختلاف بين الضفتين المشرقية والمغربية، وحدد أن كلاً من فكر الغزالي وابن سينا، قد هيمن على المشرق، وأشاد بعالمه المغاربي الذي منحه "العقلانية الرشدية والواقعية الخلدونية"، واعتبرها بارزة في تاريخ الفكر الإسلامي في العصور الوسطى.

أمَّا وزير الخارجية الجزائري الأسبق أحمد طالب الإبراهيمي فقد زاد الهوة اتساعاً، عندما تساءل، «لماذا يعلم المغاربة عن المشرق أكثر مما يعلم المشارقة عن المغرب؟»

أمَّا وزير الخارجية الجزائري الأسبق أحمد طالب الإبراهيمي فقد زاد الهوة اتساعاً، عندما تساءل، "لماذا يعلم المغاربة عن المشرق أكثر مما يعلم المشارقة عن المغرب؟" لقد أثار ذلك السؤال فكرة لدى كتاب آخرون، كالتصور الشائع، "بأن المشرق منبت الوحي وهو مصدر العروبة، وهو القلب السياسي والثقافي الذي يغذي الأطراف، ولا يُغذّى منها". كما أشار آخرون إلى قضية عدم استفادة المشارقة من إسهامات المغاربة من المعاصرين، كأمثال مالك بن نبي، ومحمد عابد الجابري، وعبد الله العروي، وهشام جعيط، ومحمد طالب، ومحمد أركون. أضاف بعض المفكرون المغاربة بأن: "محتوى الكتب المدرسية التي تُحضّر للناشئة وتخصص للمختارات الأدبية والفكرية"، في المغرب، قد خصصت حصة الأسد منها للمشارقة، على غرار ما فعل ابن عبد ربه الأندلسي في كتابه (العقد الفريد)، كما نقرأ لابن المقفع والجاحظ وأبو حيان والبحتري والمتنبي والمعري في الأقدمين، ونقرأ للرافعي والحصري وطه حسين وشوقي والرصافي وإيليا أبي ماضي من المحدثين، بينما في الكتب المشرقية لا نجد إلا نادراً ذكر أمثال ابن حزم وابن شهيد وابن الخطيب وابن دراج وابن زيدون وابن هانئ في الأقدمين، ولا نجد "ذكراً عن ابن باديس وابن العربي العلوي وعلاّل الفاسي في المحدثين."

من يتابع ويقرأ ما يكتب في المشرق العربي، يشعر بأن هناك حساسية تاريخية ذات جذور ضاربة في القدم، كما تتصدر أخبار وأشعار وخطب المشرق في المقدمة. إضافة للشعور بعدم الاحتفاء بما يكتبه بعض المغاربة من فكر وعلوم وأدب وثقافة وأخبار تتعلق ببلادهم.

لقد أثار بعض المثقفين المغاربة من تونس والجزائر والمغرب، جدلاً حول إهمال المثقفين المشارقة لأدبهم وفكرهم وثقافتهم وتاريخهم، وكان من بين دلائلهم المؤيدة لوجهة نظرهم، قلة المعرفة بالمغرب العربي، وخاصة ما قبل منتصف القرن العشرين. ويلحظون بعض التحسن في النصف الثاني من القرن الماضي

لقد أثار بعض المثقفين المغاربة من تونس والجزائر والمغرب، جدلاً حول إهمال المثقفين المشارقة لأدبهم وفكرهم وثقافتهم وتاريخهم، وكان من بين دلائلهم المؤيدة لوجهة نظرهم، قلة المعرفة بالمغرب العربي.

لقد ركز المشارقة كما يدعي المغاربة، على ثقافة القاهرة، التي استمرت منذ العصر الأندلسي. كما تعززت الفكرة بعد أن كتب ابن عبد ربه الأندلسي، (860م/940م)، مؤلفه الأدبي المسمى بـ (العقد الفريد)، الذي يعتبر موسوعة شعرية ونثرية في ذلك الوقت، والذي قال عنه الوزير والأديب الصاحب ابن عباد، بعد أن اطلع عليه: "ظننا فيه شيئا من أخبار بلادهم فإذا هي أخبار بلادنا، بضاعتنا ردت إلينا".

نفهم من هذه المقولة، بأن ابن عبد ربه قد أهمل أدب وتاريخ الأندلس والمغرب لحساب أدب المشرق وأخباره. كما تدل ضمنياً بأنَّ الكاتب قد تأثر بعقدة تفوق المشارقة، مما جعل المغاربة ضمن الهامش. والشرق كما يشعر بعض المغاربة وفي مخيلتهم وضمائرهم، عبارة عن أرض النبوة ومهبط الوحي ومهد الشعر ومصدر اللغة

إن دل هذا النقد من المغاربة للمشارقة، على شيء، فإنما يدل على ما شعروا به من إهمال لتاريخهم وأدبهم وفكرهم وثقافتهم المغاربية العربية الأصيلة.

تحدث بعض الكتاب المغاربة كذلك، عن إهمال المشارقة لهم ولأدبهم ولبلادهم، ففي عام 1937م، كتب الكاتب الجزائري فرحات الدراجي مقالاً مهماً بعنوان: (كلمة عتاب إلى إخواننا الشرقيين)، جاء فيه: "إن المشارقة لا يعرفون عن المغرب وشؤونه وتاريخه شيئاً كثيراً وقلما نجد كتاباً للمشارقة عن المغرب سالماً من الأخطاء"، وقال عن عزوف المشارقة عن أدب المغاربة: "إن ذلك يعود إلى مركز العلو لدى المشارقة ومركب النقص لدى المغاربة من حيث يجب أن تزول هذه النظرة"

وحمل الكاتب الجزائري أبو يعلى الزواوي، الذي عاش بمصر، واشتغل بالصحافة، في مقالة له، على المغاربة ودعاهم إلى الاهتمام ببلادهم وشؤونهم وثقافتهم، تحت عنوان: (اشتغالنا بالشرق أنسانا أنفسنا)، وقال: "لقد أسرفنا أخيرا في الإقبال على كل ما يرد علينا من المشرق إسرافا أفقدنا الثقة بأنفسنا، فكل ما يلفظه بريد الشرقيات ينال لدينا كل الإعجاب والتقدير وإن كان لا يحمل إلينا بعض الأحيان إلا شروراً ومفاسد وسموماً أمَّا ما يظهر لدينا وينبت في حقلنا فلا يستحق شيئاً من ذلك، وما ذنبه إلا ظهوره في ربوعنا لا في ربوع الشرق".

كما صدر للناقد الجزائري د. عبد الملك مرتاض حول هذه الجدلية، كتاب شهير بعنوان: (الجدل الثقافي بين المغرب والمشرق)، عاتب فيه المشارقة وبين فيه تقصيرهم في حق ثقافتهم المغربية عامة. مما أثار فهمي هويدي، فكتب: "ولا نبالغ كثيراً إذا قلنا إنَّ هذا الكتاب الذي لا تزيد صفحاته عن 140هو بمثابة عريضة اتهام للمشارقة تدعونا بصوت عال لأن نراجع موقفنا ومعلوماتنا عن المغرب والمغاربة"

كما ألَّف الكاتب والمفكر التونسي محمد مزالي كتاباً باسم: (في دروب الفكر)، أوضح فيه النقص الحاد في قضايا الأدب والثقافة المغربية من قبل المفكرين المشارقة، وعليه فقد تناولت إحدى لقاءات (أصيلة الثقافة المغربية)، قضية إهمال المشارقة للمغرب العربي. إن دل هذا النقد من المغاربة للمشارقة، على شيء، فإنما يدل على ما شعروا به من إهمال لتاريخهم وأدبهم وفكرهم وثقافتهم المغاربية العربية الأصيلة

أما تاريخ المشرق، ذكر بعض مفكرين المغرب العربي، فقد بدأ من العصر الجاهلي، فصدر الإسلام، فالعصر الأموي، والعباسي، فعصر الضعف، والعصر الحديث، دون التطرق إلى دولة الأغالبة، والأدارسة، والزيانيين، والرستميين، والمرابطين، والموحدين في المغرب، كما أن لويس معلوف في (منجد اللغة والأعلام)، أتى على ذكر الصحف العربية وأهمل الجزائر تماماً، مع أن عدد دورياتها حينها، يفوق 90 دورية. كما انخرط أحمد أمين في الطرح نفسه في كتابه، (زعماء الإصلاح في العصر الحديث)، ولم يتناول واحداً من زعماء الحركة الإصلاحية في الجزائر كابن باديس مثلاً

ويذكر فرحات الدراجي بأنه قد أهدى المشارقة عام 1935م، «سجل» فيه (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين)، ولم يكتب عنه أحد، بما فيهم الزيات، صاحب (الرسالة)، الذي انشغل بالحديث عن كلب العقاد وسنور المازني كما كتب.

هكذا واصل المغاربة اتهام المشارقة بأنهم يتجنبون كل ما هو مغربي، وأنهم مثلاً، يسقطون اسم الجزائر عندما يتحدثون عن الدول العربية. ذكر بعضهم فريد الأطرش عندما أهمل في أغنيته: (على بساط الريح)، الجزائر تماماً، واكتفى بذكر تونس والمغرب فقط من بين دول الشمال الأفريقي

لقد أكد بعض المغاربة في كثير من أطروحاتهم، تجاهل وإسقاط المشارقة لهم، من كل الثقافات والفنون. لقد عاب المغاربة على أحمد شوقي عندما زار الجزائر عام 1904م، للاستشفاء، ما كتبه عن

زيارته، حيث قال: «لا عيب فيها (أي الجزائر) سوى أنها قد مسخت مسخاً، وقد عهدت مساح الأحذية يستنكف النطق بالعربية، وإذا خاطبته لا يجيبك إلا بالفرنسية».

لم ينس الشيخ ابن باديس قول شوقي، في حفل إحياء ذكرى شوقي، وتعجب من وصفه، كيف أنه استدل على حال أمة، بمساح الأحذية، إلا أنَّ الفقيد العزيز كما قال: «لو رأى من عالم الغيب حفلنا هذا، لكان له في الجزائر رأي آخر، ولعلم أنَّ الأمة التي أنجبتها العرب لا تستطيع ولن تستطيع أن تمسخها الأيام ونوائب الأيام»

كتب مفكرو المغرب العربي، أمثلة على تحامل المغاربة على إهمال المشارقة لهم، منها زيارة سلامة موسى للجزائر عام 1930م، الذي قلل من شأن البلد وتاريخه حين قال: «إننا لا نجد في الجزائر حركة وطنية بينما نجد في الهند حركة وطنية هي غاية في القوة، وذلك لأن الفرنسيين قتلوا الروح الوطنية في الجزائر بمقاومة اللغة، وليس في الجزائر أية نهضة، ليس فيها نهضة للاستقلال أو لإحياء القومية أو أي نهضة أخرى ثقافية، فالشباب المتعلم هناك واحد من اثنين، فهو إمَّا فرنسي الثقافة واللغة لا يعرف من العربية غير الألفاظ التي يتكلم بها في البيت، وإما عربي اللغة والثقافة قد تعلم في معهد يشبه المعاهد الدينية عندنا يقرأ الكتب القديمة، ولا يتصل بالحضارة الحديثة بأي نسب، وهو يعيش في انزواء عن العالم الحاضر، يؤمن بحجاب المرأة ويقاطع كل شيء أوروبي، فيبقى مهزوماً طول حياته»

بالرغم من تجاوز البعض لهذه الحوارات، إلا أن الحوار بين المشارقة والمغاربة قد استمر إلى عصر قريب. ركز غالبية المفكرين اهتمامهم على قضايا تتعلق في جلها، بمشاكل وقضايا بلادهم الخاصة. لكن هناك من أنشغل بمشاكل وقضايا الوطن العربي عامة وقضيتهم الأم خاصة. يمكن الإشارة، تصديقاً لذلك، إلى مقولة اشتهرت من زمن، تقول: «القاهرة تكتب، وبيروت تطبع، وبغداد تقرأ.»

لقد أسهم واقعنا اليوم، بما يملكه من تطورات في المشرق والمغرب، وما تم من تطور في وسائل التواصل الاجتماعي ومن إمكانات نشأ عنها اتساع الرقعة من طرف، ومن طرف آخر خلق ثقافات متعددة بتعدد المراكز والنوادي، والصالونات والدور الثقافية والأدبية والحركات الفكرية والفنية والإبداعية. لقد أسهمت كل هذه التداخلات في خلق فرص لكثير من المثقفين، بدءً من بلدان الخليج شرقاً، وامتداداً إلى بلدان المغرب العربي الكبير.

لقد «عانت الجزيرة واليمن والخليج من الإهمال أكثر من المغرب، وهي مشرق المشرق، عقدة تفوق مشرقية تجاه الثقافة المغربية»

لقد وحدت وبرزت أسماء لامعة في شتى نواحي الثقافة والعلوم والإبداع الفكري، خاصة في الرواية، والشعر، والفكر، والنقد، والفنون وفي البحوث التاريخية والاجتماعية والإنسانية وغيرها من الدراسات المعتبرة

من ناحية أخرى، أثار المفكر البحريني محمد جابر الأنصاري، ذات القضية، حينما نظر إليها من زاويته كخليجي، عندما كتب في: (من أجل تفاعل بلا عقد بين المغرب والمشرق)، لقد «عانت الجزيرة واليمن والخليج من الإهمال أكثر من المغرب، وهي مشرق المشرق، عقدة تفوق مشرقية تجاه الثقافة المغربية». كما أكد بأن الجزيرة العربية قد عانت من ذات التهميش من قبل المشارقة، قصد فيها: (مصر والشام والعراق) أنفسهم، وذكر بأن للطفرة النفطية دور في تغيير الصورة النمطية لديهم اليوم

كما حدد الأنصاري بأن العالم العربي قبل الخمسينيات، كان «أشبه بريف ثقافي»، قياساً إلى «حواضر الثقافية الكبرى كالقاهرة وبيروت وبغداد والشام»، فهي بالطبع، مهد الصحافة، والإعلام، والسينما، والاحتكاك بالغرب، ودور النشر، وبها كبار الكتاب والنقاد. لقد كانت حاضرة لمن أراد الشهرة، كما فعل علي أحمد باكثير، ومالك بن نبي، ونزار قباني، والنجفي، بينما لم يحظ الزهاوي والرصافي والعريض بالشهرة رغم ذيوع أعمالهم، ذلك لأنهم مكثوا في بغداد والمنامة

نلاحظ كذلك، بأن الأنصاري قد كتب تحت عنوان فرعي: (مطلوب من المشارقة إعادة اكتشاف المغرب ثقافياً)، ذلك في مقاله الأصل: (شمس العرب هل تشرق من المغرب؟)، لم يبالغ عندما قال: «إن ما سمعته من الإذاعة التونسية والمغربية يدل على أن للعربية الفصحى مكانة تدعو إلى الاطمئنان،

وإن المذيعين المتحدثين بها يجيدونها بشكل يدعو إلى أن يغبطهم عليه بعض إخوانهم المشارقة»

أما د. عبد الملك مرتاض فقد كان له رأي مختلف حين أسهب في الحديث عن عزلة الجزائر إبان الاستعمار الفرنسي عن محيطها العربي والإسلامي، كما أشار إلى فرض فرنسا لغة المستعمر وثقافته، ومنع تواصلها مع بلاد المغرب والمشرق، وفرض رقابة عليها. لذا، فقد احتاجت الجزائر إلى وقت كافٍ من الزمن «لتجمع شملها» لتصفي الاستعمار من خلال ثورتها الباسلة

> لقد «عانت الجزيرة واليمن والخليج من الإهمال أكثر من المغرب، وهي مشرق المشرق، عقدة تفوق مشرقية تجاه الثقافة المغربية»

> فرضت فرنسا على الجزائر لغة المستعمر وثقافته، ومنعت تواصلها مع بلاد المغرب والمشرق

وأكد د. مرتاض بأن الحصار والتمزيق الذي فرضه الاستعمار الأوروبي بالعالم العربي، قد عبث بعالمنا العربي. وقد أشار إلى ما ذكره بعض المفكرين العرب، كيف أن جريدة (العروة الوثقى) كانت تحتاج أن تسافر بحراً من فرنسا إلى الهند لأخذ موافقة المفوض البريطاني، قبل أن تنشر في مصر.

لقد سافر الرحالة الغربيون في العالم العربي شرقاً وغرباً، بينما احتال الريحاني، على الأمريكيين حين طلب الجنسية، ليحصل من خلالها على جواز سفر أمريكي، يمكنه من السفر إلى ربوع الجزيرة العربية، وتمكن من تأليف كتب (ملوك العرب) و (قلب العراق)

كذلك، أنصف بعض المفكرين المغاربة مفكرو المشرق من بعض المفكرين المغاربة، وقالوا: هناك شيئاً من المبالغة والافتعال فيما ذكر من أحاديث البعض عن المشرق. وأكد البعض قائلاً: لقد صنعوا من المشارقة «عقدة» من الاستعلاء على كل ما هو مغربي.

بينما أكد المنصفون أنه وبالرغم من الاستعمار والعزلة التي فرضها الاستعمار، إلا أن بعض كتاب الأعلام في المشرق، قد زاروا الجزائر، ونشطوا بها، كمحمد عبده عام 1903م. لقد مهدت رحلته التاريخية تلك، كما ذكر البشير الإبراهيمي، لظهور (حركة إصلاحية) في الجزائر. كما أوضح أن فرقة جورج أبيض قد وصلت للجزائر، وأدت ثلاث مسرحيات قوية: «صلاح الدين الأيوبي» و«شهامة العرب» حيث تولى الأمير خالد حفيد الأمير عبد القادر، تسويق «مجنون ليلى» بنفسه.

كان لأثر تلك الزيارة، تكوين (جمعية الآداب والتمثيل الفني في الجزائر) أثناء الاستعمار. كما زار الموسيقار سامي الشوا الجزائر، وهناك زيارة أخرى، لفريد الأطرش، ويوسف وهبي عام 1950م، الذي احتُفي به وبفرقته. لقد أسهم الفن والفكر والثقافة في الجزائر أثناء الاستعمار في «إحياء الأمة العربية»، كما قال الأمين العمودي

إضافة لذلك، أوضح بعض المثقفين المغاربة بأن المشارقة لم ينسوا إخوانهم والاحتفاء بهم، كما فعلوا مع الشيخ البشير الإبراهيمي، الذي قال في حقه منصور فهمي رئيس (مجمع اللغة العربية): «إن المكان الذي يقف فيه الشيخ حرم مقدس، لا يجوز تدنيسه بالنعال ونزع حذائه». كما احتفوا بالرحالة

الشهير، الشيخ الفضيل الورتلاني، الذي كان له دور في ثورة اليمن عام 1948م، والمفكر مالك بن نبي، الذي عرب كتبه عبد الصبور شاهين، وذكر بأنه قد بدأ تأليفه بالعربية في القاهرة، وقد كتب فهمي هويدي: «لا نبالغ كثيرا إذا قلنا إن تأثير مالك بن نبي في المشرق يفوق تأثير أي كاتب أو مفكر جزائري أو مغربي آخر ظهر في العصر الحديث»

: «لا نبالغ كثيرا إذا قلنا إن تأثير مالك بن نبي في المشرق يفوق تأثير أي كاتب أو مفكر جزائري أو مغربي آخر ظهر في العصر الحديث»

أما د. جابر عصفور فقد أستعرض موضوع التعالي الثقافي المشرقي، في ورقه له، ألقاها في ندوة (حوار المشارقة والمغاربة.. الوحدة في التنوع)، دافع حينها، عن المغاربة وإبداعاتهم الفكرية، بعد أن تحدث عن رسائل الشاعر التونسي أبو القاسم الشابي، التي تبادلها مع صديقه المصري محمد الحليوي.

تناول د. عصفور ما يحدث من توتر ثقافي بين المشارقة والمغاربة، حيث فنّد في مداخلته رأي الحليوي في نهاية يوليو 1929م، عندما عقب على ما كتبه (العقاد) عن الشعر في مصر، وأوضح بأن العقاد تعصب لأبناء قومه، «حيث تغلبت عنده نزعة القومية على نزعة الصراحة»، وقال: إن «العاطفية والشاعرية من طبيعة الأمة المصرية»، وأكد بأن، «مصر لم تنجب شاعراً من غرار أولئك الشعراء الملهمين القائمين برسالة الحياة في هذا الكون.»، ونقل عن الشابي في رسالة بتاريخ 26 من شهر مارس، من السنة ذاتها: بأنه ساخط «على الشرقيين عامة والمصريين خاصة، أولئك الذين لايزالون يحسبوننا من الهمج، فلا يرون لنا أي مزية، ولا يعترفون لنا بأي مكانة، ويسقطوننا من حسابهم، كما يسقطون من حسابهم زنوج إفريقيا وهنود أمريكا، بل ولا يعرفون بالضبط حتى موقع بلادنا من إفريقيا الشمالية.»

كما حدد د. عصفور في ورقته، أهمية الثقافة والمعرفة المغاربية وقال: «قارن مثلاً بين الإنجازات الفكرية في الخطاب الفلسفي للمغاربة، حيث يمكن للمنصف أن يلمح التقدم الذي لم يستطع أن يصل إليه بعض المشارقة من الذين لايزالون غارقين في أيام مصطفى عبد الرازق وعثمان أمين وأبو ريدة وزكي نجيب محمود وزكريا إبراهيم وغيرهم.» وأضاف بأن هناك من المشارقة من يعتقد بأنهم مازالوا في «الريادة» لكن لم يعيشوها، «فالريادة عناء متصل ومناقشة مستمرة وسعي دائم للارتقاء وحوار بين أكفاء»

لقد أخذ الأدب والثقافة المغربية مكانهما في الأوساط المشرقية مع بداية النصف الثاني من القرن العشرين، كما أنه لا يوجد كما أدعى بعض المغاربة، من «نبذ» وتعال وإقصاء المغرب عن المشرق. لقد سبق د. طه حسين، في النصف الأول من القرن المنصرم، بتكريم عبد الله كنون، ومحمود المسعدي، ومولود معمري.

تم الاحتفاء في العصر الحديث، بمؤلفات محمد عزيز الحبابي، والجابري، والمرنيسي، ومحمد برادة، ومحمد شكري، ومحمد زفزاف، وعبد المجيد بن جلون، والطاهر وطار، وعبد الحميد بن هدوقة، وهشام جعيط، وأحلام مستغانمي، وواسيني الأعرج. كما نال الروائي الجزائري عبد الوهاب عيساوي، جائزة البوكر، عن روايته (الديوان الاسبرطي) عام 2020م، كذلك، تم تتويج رواية الروائي أحمد طيباوي عن روايته: (اختفاء السيد لا أحد)، بجائزة نجيب محفوظ عام 2021م

ختاماً، لعب الأدب المغربي، المكتوب بالعربية والفرنسية والمعرب، إضافة للثقافة والفكر النقدي المغربي دوراً رائعاً من الأصالة، مكنه من احتلال الصدارة في العالم العربي

لقد تداخلت الثقافات شرقاً وغرباً، حتى أننا لا نجد ما يسمى: (بعزوف واستعلاء وإهمال)، للثقافة المغربية من قبل المشارقة. لقد أقبل الجميع على دراسة الأدب والفكر المغربيين والعكس صحيح. كما نجد حركة تكامل بين الفكر العربي، في ظاهرة انتقال المفكرين والمثقفين في عصرنا الحالي، بين مختلف أرجاء الوطن العربي، ومحافل اللقاءات والمؤتمرات والمنتديات، كذلك عن طريق الكتب والمقالات التي يتم تبادلها في معارض الكتاب بالوطن العربي الكبير، وانتقال المؤلفين والمفكرين أنفسهم واختلاطهم ببعضهم.

كما زادت الثورة المعلوماتية وطفرة الاتصالات ووسائل التواصل الاجتماعي، من مد جسور التقارب بين المشرق والمغرب، وردم الهوة التاريخية، وتضييق الفجوة بين مركزية المشرق وتمرد المغرب. لقد أعجب الجميع بما ينتج هنا وهناك من مخرجات، ويحتفي الجميع بما يبرز من إنتاج ثمين، فنياً، وأدبياً أو فكرياً، سيما أن ما ينتج يخدم أمة واحدة، ولغة واحدة، وشعوبا واحدة، ويصب في مصلحة الثقافة العربية

الموقف الثقافي

التجسير الثقافي بين المشرق والمغرب العربيين

الخلاصة:

وبعد استعراض هذه الآراء يمكن الخروج بالنتائج الآتية التي تمثل خلاصة ما طرحه خبراء الثقافة من مقترحات وسياسات لتعزيز الوعي بالإشكالات المتعلقة بمفهومي «الثقافة» و«المثقف» والإسهام في ضبطهما منهجيا بما يخدم الحالة الفكرية والمعرفية في العالم العربي:

أولاً: العناية بتعزيز انتشار اللغة العربية لأنها جوهر الهوية التي لا تتعزز إلا باللغة والثقافة، وكل ما يهدد الهوية يأتي من هذين المنفذين، فمن استطاع أن يغيب لغة ما فإنه يغيب بالضرورة ثقافتها؛ فاللغة هي الوعاء التي تعيش فيه مجموع السمات التي تشكل الهوية، ما يوجب العناية باللغة والعمل على التقريب بين لهجاتها في المشرق والمغرب من خلال إجراء دراسات وأبحاث عن أصول الكلمات في اللهجات المغاربية، وردها إلى جذرها العربي الفصيح

ثانياً: تفعيل دور الإعلام في عملية التجسير الثقافي من خلال إعداد وثائقيات وبرامج تلفزيونية وإذاعية عن مظاهر الوحدة والاختلاف بين المشرق والمغرب العربيين يقدمها إعلاميون من المنطقتين

ثالثاً: تفعيل دور المنظمات العربية الثقافي في تعزيز وتيرة التجسير الثقافي من خلال رعاية المؤتمرات والبحوث والأنشطة التي من شأنها ربط العدوتين ببعضهما البعض، عبر استراتيجية تعتني بالتكامل وليس التنافس، والاندماج وليس الإقصاء

رابعاً: العناية بخلق الروابط وتعزيزها بين الشباب العربي المبدع في المشرق والمغرب، وذلك من خلال إرادة سياسية واضحة، واستراتيجيات تمكن هؤلاء الشباب من استثمار طاقاتهم الهائلة القادرة على إحداث تحول نوعي في المشهد الثقافي العربي

خامساً: استغلال الوسائط الرقمية في توثيق التراث الشعبي في المشرق والمغرب وتقديمه إلى الجمهور، مع العمل أيضاً تطوير عروض مسرحية باستخدام الواقع الافتراضي، أو حتى إنتاج أفلام قصيرة قادرة على المنافسة عالميًا، وتعزيز الترابط الفني بين ركني العالم العربي

سادساً: إنشاء شبكة رقمية متكاملة للمبدعين العرب من مختلف المجالات الفنية، مثل الفنون البصرية، والموسيقى، والمسرح، والأدب، والسينما، لتعزيز التعاون الثقافي بين الشباب المبدع في المغرب والمشرق العربيين

سابعاً: التخفيف من حدة الأطروحات الفكرية التي تغذي اتهامات الإقصاء وتركز بصورة مفرطة على الاختلافات، بدلاً من إبراز القواسم المشتركة الجامعة

ثامناً: تشجيع تبادل الخبرات العلمية والأكاديمية والثقافية بين الجانبين وتسهيل انتقال وتحرك وعمل الشخصيات الثقافية من المشرق في المغرب العربي، والعكس صحيح، بما يقوي الأواصر الثقافية والمعرفية

الموقف الثقافي

مركز الخليج للأبحاث
البرنامج الثقافي والإعلامي

24
Gulf Research Center
Knowledge for All

www.ar.grc.net

Gulf Research Center Jeddah (Main office)

19 Rayat Alitihad Street
P.O. Box 2134
Jeddah 21451
Saudi Arabia
Tel: +966 12 6511999
Fax: +966 12 6531375
Email: info@grc.net

Gulf Research Center Riyadh

Unit FN11A
King Faisal Foundation
North Tower
King Fahd Branch Rd
Al Olaya Riyadh 12212
Saudi Arabia
Tel: +966 112112567
Email: info@grc.net

Gulf Research Center Foundation Geneva

Avenue de France 23
1202 Geneva
Switzerland
Tel: +41227162730
Email: info@grc.net

Gulf Research Centre Cambridge

University of Cambridge
Sidgwick Avenue,
Cambridge CB3 9DA
United Kingdom
Tel:+44-1223-760758
Fax:+44-1223-335110

Gulf Research Center Foundation Brussels

Avenue de
Cortenbergh 89
4th floor, 1000
Brussels
Belgium